# تكملة سورة المدثر

فإذا نقر في الناقور" أي في الصور" فذلك يومئذٍ يوم عسير على الكافرين غير يسير" بعض الفضلاء من المفسرين إذا مروا بهذه الآية يجتنبونها بناء على أن أساس الفهم كان خطأ "يوم عسير" "غير يسير" يقولون المعنى واحد والثانية مؤكدة للأولى...هناك فرق بين "وصف اليوم " ووصف " من سيكون في ذلك اليوم" ... والمعنى: أن يوم القيامة عسير بطبعه ـ عسير وصف لليوم ـ ليست وصفاً لأهل ذلك اليوم لا للمؤمنين ولا للكفار...أما الثانية" غير يسير" فذكر للحساب الواقع على الكافرين...

ثم ذكر الله رجلاً وهو الوليد بن المغيرة...رجل من كبار قريش سناً جاءت البعثة وقد شاخ وهرم وكان له نفوذ مستمد من أمرين:كثرة ماله وكثرة أولاده...وقد عبّر الله تعالى عنه بقوله"مالاً ممدوداً" وهذه الكلمة تعطي مد بصري... أي جنان تتبعها جنان... وأيضا ممتدة من مكة إلى الطائف

ومابينهما وما جاورهما...وكان رجلاً جريئاً حتى أن قريش لما أرادت هدم الكعبة لتعيد بنائها هابت أن تصل للبيت أول من تجرأ على أن يهدم الكعبة ويقلع حجرها هو الوليد بن المغيرة... وهذا كله جعل منه رجلاً عظيماً تلجأ إليه الناس بطبيعتها...
قال تعالى" ذرني ومن خلقت وحيدا" أي خلي بيني وبين من خلقت وحيداً... ووحيدا من حيث اللغة "حال" من فاعل أو مفعول ؟ اختلفوا
فإذا قلنا من فاعل: خلقت "وحيداً" عائده إلى الله...أي خلقته لوحدي ليس معي شريك في خلقه...وهذا إذا كانت اللغة تحتمله فإني أستبعده
فتكون "وحيداً" حال من المفعول به الذي هو الوليد...واختلفوا في معناها على قولين:
1. "وحيدا" أي خلقته منفرداً وحيداً ضعيفاً في أول أمره...
2. " وحيدا" أي جعلته رجلاً لا نظير له في قومه...
ولا يمتنع الجمع بين القولين...

" وجعلت له مالاً ممدوداً * وبنين شهوداً "
أي حاضرين... من كثرتهم أولاده لايمكن ؟أن يغيبوا مجتمعين...
أسلم منهم ثلاثة خالد واثنان اختلفوا في أسمائهم...وهو مخزوميّ كأبي جهل...
"ومهدت له تمهيداً" أي وطأت له في أن يصل إلى الرئاسة والجاه...
" ثم يطمع أن أزيد" قال الله " كلا " لماذا كلا ؟ لأن السبب في استدامتها رضوان الله... وهذا عصى الله
قال تعالى" إنه كان لآياتنا عنيدا" " سأرهقه صعوداً" أي سأكلفه عذاباً شديداً شاقاً لا يطيقه...في الدنيا وفي الآخرة...ثمّ علل هذا... قال تعالى" إنه فكر وقدّر" ثم لعنه الله تعالى قال " فقُتل" لعْنَه " كيف قدر"
أي أنه رجلاً ليس سهلاً ..." ثم قُتل" تكررت اللعنة عليه..." كيف قدر" هذا كله تعجب من قدراته...قال تعالى " ثم نظر" ونظر تأتي متعدية بحرف الجر إلى... نظرت إلى الشيء ـ أي أبصرته ـ ونظرت في الأمر بمعنى تفكرت

وتمعنت فيه...ونظر بدون حرف جر بمعنى تمهل وانتظِر وبكلٍ جاء القرآن هنا بمعنى التدبر والتفكر" ثم نظر" أي في أمر الرسالة
" ثم عبس وبسر" وهذه صورة لوجهه تدل على مافي قلبه ثم قال تعالى" ثم أدبر" أي عن الحق... " واستكبر" أي عن الإيمان... ثم قال ـ وقريش كلها تنتظر حكمه لأنه اجتمع بهم وقال"إن وفود العرب تأتيكم فإذا رأوا اختلافكم في محمد قالوا يا أبا المغيرة احكم أنت ـ هذا زاده استكبار ـ قال " إن هذا إلا سحر يؤثر" كأن القرشيين ما رضوا ـ قريش تريد أن يفصل ويقول أنه ليس كلام الله ـ فقال " إن هذا إلا قول البشر" فزادوه تعظيماً وهلك بعد البعثة بقليل...
قال تعالى " سأصليه سقر " أي النار... ثم قال وما أدراك ـ بصيغة الماضي ـ وفي القرآن وما أدراك وما يدريك... إذا قال الله " وما أدراك" يخبر نبيه عن ذلك الشيء...وإذا قال وما يدريك لا يخبر نبيه عن ذلك الشيء..." وما يدريك

لعل الساعة تكون قريباً" ولم يخبره متى الساعة..." وما أدراك مالحطمة" بيّن قال " نار الله الموقدة"
قال " وما أدراك ماسقر" بينها قال" لا تبقي ولا تذر" " لوّاحة" أي حرّاقة
" للبشر" ليس الناس وإنما جمع بشرة وهي الجلد الظاهر...
" عليها " أي على هذه النار " تسعة عشر" مبتدأ مبني على فتح الجزأين مؤخر والأعداد من أحد عشر إلى تسعة عشر مبنية دائما على فتح الجزأين في أي موضع كانت إلا إذا ثنّيت مثل اثني عشر فتعامل معاملة المثنى " عليها تسعة عشر أي من الملائكة
كأن هذا القول استخف به أهل الإشراك...
" ليستيقن الذين أوتوا الكتاب" لأن العدد تسعة عشر هو العدد الموجود في التوراة والإنجيل...فإذا قرأوها في القرآن وفي التوراة والإنجيل استيقنوا..." ويزداد الذين آمنوا إيمانا" المؤمن أصلا مؤمن أنهم تسعة عشر فهو يقبل كلام الله...

" ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون" ينفي الله تعالى عنهم الريبة بعد أن أعطاهم الله اليقين " وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا" يتعجبون من قلة العدد الذي يقبض أرواح الخلائق كلهم ملَك واحد فكيف يعجز أهل النار تسعة عشر ملَكاً...والأمر الذي أكثر توكيداً أن الله يعطي القدرة من يشاء من عباده وأنه لو جعل خزنة النار واحد لقام بهذه المهمة لكن مرض القلب مبني أساساً على عدم تعظيم الله والعلم هو الذي يبعد ما يأتي من شبهات والإيمان يبعد ما يأتي من شهوات... قال تعالى " كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو " لا ينبغي حصر كلمة جنود في الملائكة... فالله تعالى له جنود لا يعلمها إلا هو كما قال... " وما هي إلا ذكرى للبشر" اُختلف في "هي " عائدة على ماذا؟ هل هي على التسعة عشر خزنة النار أم النار نفسها؟ والأظهر والله أعلم أن

ذكرنا لهذا الأمر إنما جعله الله ذكرى للبشر يعنى بني آدم...
قال تعالى " كلا والقمر" كلا كلمةٍ ردع وقال الكسائي كلا هنا بمعنى حقاً وقال بعضهم بمعنى نعم والصواب أن كلا هنا بمعنى ألا الاستفتاحية لأن حقاً لا يصح أن تكسر إن بعدها...
" كلا والقمر * والليل إذ أدبر* والصبح إذا أسفر" هذه الثلاث مخلوقات عظام لن أفصل الكلام فيها لأننا سوف نتعرض لذلك في سورة الليل... وهنا قسم من الله تعالى بهذه المخلوقات الثلاث...
" إنها لإحدى الكبر * نذيراً للبشر" والراجح أنها التذكرة بالآخرة أو جهنم نذيراً للبشر... " لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر " من هنا فهم العلماء لا يوجد في طريق السير إلى الله أحد واقف فإما متأخر وإما متقدم...
" كل نفس بما كسبت رهينة* إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون عن المجرمين * ما سلككم في سقر* قالوا لم نك من المصلين"... الذي عليه الجمهور وأكثر ما اطلعنا عليه من كتب

التفاسير أن معنى الآيات أن كل إنسان مرتهنٌ بعمله...لا ينفك إلا إذا كان عمله صالحاً... وأهل اليمين انفكوا لكونهم عملوا الصالحات وأنهم سيمكثون في الجنة يتساءلون عن أهل الكفر الذين يمكثون في النار... هذا ما قاله أهل العلم... والحق أن هذا غير مقنع لأن كل من ألفاظ العموم فاستثنى الله منها أصحاب اليمين لكن أين المقربون؟ وهو السؤال الذي يجعل الرأي السابق غير مقنع...الله ما استثنى إلا أصحاب اليمين وهم الذين خلصوا بأعمالهم... والمقربون أولى من أصحاب اليمين... فلابد للآية من معنى غير الذي فهمه جمهور أهل العلم... وجدت عند القرطبي نقلاً عن علي ابن أبي طالب أنهم أطفال المسلمين والحق أن هذا خيط يقود إلى حل الإشكال... معنى الآية
" كل نفس بما كسبت رهينة" أي كل نفس مرهونة والعمل لا يخلص أصلاً إلا أصحاب اليمين لأنهم لا عمل لهم فهم ماتوا قبل التكليف...

فأصحاب اليمين عام أريد به الخاص...أريد به من مات على الإسلام من صغار المسلمين... ومما يستأنس به لصحة هذا الرأي أنه لو قلنا إنهم أصحاب اليمين الكبار هؤلاء لا حاجة لهم في الأصل أن يتساءلوا فيما بينهم عن أهل النار لماذا دخلوها والرأي الثاني أقرب لأنهم ماتوا صغار لا يعلمون لأي سبب عذب أولئك...
ذكروا أربع أسباب عدم الصلاة لأنها عمود الدين وعدم إطعام المسكين أي قسوة القلب والخوض مع أهل الباطل ثم ذكروا قاصمة الظهر وهو التكذيب بيوم الدين... وانظر إلى دقة القرآن" وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين " لابد أن يكونوا قد ماتوا على الكفر حتى لا يخلدوا في النار... وثمة قول جميل " ليست العبرة بعثرة البدايات إنما العبرة بكمال النهايات " وإذا كان هذا حالهم " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " نحن نتكلّم عن القرآن عند بدء نزوله وسيأتي بعد ذلك منهم الذين حق لهم أن يشفعوا ليس

صوابا أن نقتحمها الآن
" فما لهم " استفهامية " عن التذكرة معرضين..." كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة " كأنهم أي أهل النار " حمر مستنفِره "
قُرأت " مستَنْفَرًة " ـ بفتح الفاء ـ على أنها اسم مفعول... وقرأت مستنفِرة " ـ بكسر الفاء ـ على أنه اسم فاعل..."
قسورة " قيل الأسد في لغة الحبشة وقيل مجموعة من الرماة أي مجموعة مخيفة للحمر الوحشية إما أسود تريد أكلها أو رماة يريدون صيدها هذه الحمر إذا قلنا مستنفَرة ـ بفتح الفاء ـ أي استنفرت من قبل تلك القسورة... وإذا قلنا مستنفرة ـ بالكسر ـ معنى ذلك أن الخوف بلغ منها مبلغاً حتى أصبح بعضها يستنفر بعض... أما الحمر فهي معذورة في ذلك لأنها تفر مما يهلكها أما هؤلاء فيفرون مما فيه صلاحهم ونجاتهم... "
بل يريد كل امرئ منهم أن يعطى صحفاً منشرة" بلغ من طغيانهم في طلبهم أنهم يريدون أن ينزل على كلٍ فرد منهم كتابا خاصا ولا يكون مطوياً

حتى لا يكلفون فتحه إنما كتاب منشور مفتوح... وهذا كله رد بالباطل فانظر إلى حلم الله على عباده...ثم ذكر الله العلة وهي عدم إيمانهم بالآخرة " كلا بل لا يخافون الآخرة " " كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره " ثم بين أنه مهما كان قولهم فإن القرآن حق إنه تذكرة..." ثم ذكر الله تعالى لنفسه المشيئة الشرعية والقدرية... " ومايذكرون إلا أن يشاء الله " أثبت لهم المشيئة فمن شاء ذكر ثم قيدها بمشيئته " هو أهل التقوى وأهل المغفرة " كل مطلوب لا يطلب إلا بحول الله وكل مرهوب لا يدفع إلا بحول الله ولهذا عظمت كلمة لاحول ولا قوة إلا بالله... ومن جميل الدعاء أن يقال" اللهم لست بريئاً فأعتذر ولا قويا فأنتصر ولكن لا حول ولا قوة إلا بك " كان بالإمكان أن تكون الآية هو أهل التقوى والمغفرة... لماذا كرر كلمة أهل ؟ كررها لأن "أهل" الثانية غير "أهل" الأولى... الله جل وعلا أهل لأن يتقى بمعنى أنه لازم على الخلق أن يتقوا ربهم دون سواه... أما أهل المغفرة

فليس لزاما على الله أن يغفر لكل أحد...
يستفاد من هذا أنه يجعلك تجنح إلى ربك فتعبده دون غيره وأهل المغفرة يجعلك تجنح إلى ربك فتطمع فيه أن يعينك على تقواه... هذا ما تيسر إيراده وتهيأ قوله... وقد لاحظت أنني تجاوزت بعض المسائل لأن حينها لم ينزل بعد والأفضل أن تفصل في الموضع الذي نزلت فيه...
بلغنا الله وإياكم من الخير فوق ما نؤمل, وصرف الله عنا وعنكم من السوء فوق ما نخاف ونحذر... هذا والله أعز وأعلى وأعلم, وصلى الله على محمد وآله وصحبه...
انتهى,,,